الوشم التقليدي لدى المرأة بمنطقة جيجل
أغراض ودلالات ورموز
مقاربة سيميو- أنثروبولويجة

The traditional tattoo of women in Jijel region
Purposes, connotations and symbols
Simeu-anthropological approach

بوصلب عبد المجيد[1]
المركز الوطني للبحوث في عصور ماقبل التاريخ
madjid.boss@yahoo.fr

تاريخ الوصول: 2020/06/04 القبول : 2020/12/16 النشر علي الخط: 2021/06/15
Received: 04/06/2020 Accepted : 16/12/2020 Published online : 15/06/2021

ملخّص:

إن الوشم ظاهرة إنسانية عرفتها الشعوب ومارستها بأشكال متعددة منذ القدم، ويعد سكان شمال إفريقيا من أهم الشعوب التي مارست الوشم خاصة لدى النساء، حيث مازال الكثيرات من كبيرات السن يحتفظن بوشوم متعددة الأشكال على أجسادهن لها العديد من الأغراض والمعاني والدلالات، والتي من شأن دراستها أن يساهم في فهم أحد عناصر تراثنا اللامادي وصونه، لذلك تسعى هذه الدراسة للتعرف على أهم أغراض ووظائف الوشم التقليدي وتحديد دلالاته الرمزية عند المرأة بجيملة بولاية جيجل بالجزائر. وقد أوضحت الدراسة أن رموز الوشم مستمدة من الطبيعة لكنها توشم على الجسد في أشكال هندسية بسيطة، كما أن للوشم عدة أغراض ووظائف تنقسم إلى تجميلية وعلاجية وقائية وهوياتية.

الكلمات المفتاحية: العلاج، الرمز، المرأة، الهوية، الدلالة.

Abstract:

Tattoos are a human phenomenon that so many nations knew and applied throughout History. North Africa's citizens are one of those people who got tattoos especially for women. A lot of old women still keep tattoos in different shapes on their bodies which have different significance and goals tattoos as a matter of fact need to be studied in order to get a better comprehension and protection of our immaterial legacy. Therefore, the study seeks to identify the goals and functions of a traditional tattoo and to determine what is the symbolic significance of a tattoo for the woman in Jimla, province of Jijel (eastern Algeria). The study found out that the tattoo's symbols are derived from nature transformed afterwards into simple geometric forms on the bodies. Tattoos are generally got for different reasons, cosmetic, therapeutic and preventive ones, as well as a simple kind of a hobby.

Keywords: therapy, identity, woman, symbol, significance

[1]- المؤلّف المرسل: بوصلب عبد المجيد البريد الإلكتروني: madjid.boss@yahoo.fr

1. مقدمة

إنّ الوشم ظاهرة إنسانية عرفتها الشعوب ومارستها بأشكال متعددة منذ القدم، فقد وجدت دلالات للوشم على بعض المومياات المكتشفة بمصر، مما يرجح استخدامه لدى المصريون القدماء كتعويذة لإبعاد الحسد، فيما اتخذته بعض الشعوب كقربان لفداء النفس أمام الآلهة، كما كان يستخدم الوشم كتعويده ضد الأرواح الشريرة ووقاية من أضرار السحر، أما عند الأمازيغ فللوشم أغراض تجميلية وعلاجية، بالإضافة أنه يعبر عن الشعور بالهوية المشتركة وله رمزية اجتماعية ثقافية قوية.

إنّ الوشم يعد لغة رمزية عند كل سكان شمال إفريقيا بصفة عامة وعند سكان جيملة بجيجل بصفة خاصة، حيث نجد أشكال الوشم متنوعة ولها معاني ودلالات متعددة ومختلفة، تلتقي فيها الرمزية مع التعبيرية لتخلق لنا جسدا أنثوي موشوما يحمل العديد من المعاني الثقافية. لذلك سوف أتناول الوشم على الجسد الأنثوي بوصفه متن مفتوح على القراءة، لأن الوشم يعد بناء رمزيا ونتاجا لنظام قيمي ثقافي معين ووعاء يحمل العديد من التمثلات الثقافية، تسعى الدراسة للكشف عنها من خلال الكشف عن الدلالات والمعاني التي تعطيها المرأة لتلك الممارسات المرتبطة بالوشم على جسدها ومهي أغراضه. ولأجل ذلك نتساءل: ماهي أهم أغراض ووظائف الوشم الأنثوي التقليدي؟، وماهي دلالاته الرمزية عند المرأة بجيملة بولاية جيجل بالجزائر؟.

يستمد الوشم أهميته كموضوع دراسة من كون الوشم الأنثوي التقليدي هو جزء من الثقافة المحلية وهو من العناصر المهددة بالزوال لذلك هو من المواضيع التي تستحق التدوين والجمع والدراسة لأجل الصون ولو بشكل أرشيفي، كما يساعد فهم الوشم على الجسد الأنثوي في فهم تصورات المرأة عن جسدها وعن ثقافة مجتمعها. وتهدف الدراسة أولا إلى الكشف عن معاني ودلالات الوشم عند النساء الواشمات بمنطقة الدراسة، ثانيا تحديد أغراض ووظائف الوشم، وأخيرا تبيان معاني ودلالات رموز وأشكال الوشم.

2. تحديد المقاربة المنهجية ومفاهيم الدراسة

2. 1. المقاربة المنهجية للدراسة

إنّ الدراسة تسعى لفهم ممارسات الوشم ومعانيها انطلاقا من الوصف والتحليل، لذلك سوف أعتمد على المنهج الوصفي التحليلي بالإضافة للمقاربة التأويلية الرمزية التي تساعد في فهم رموز الوشم ومعانيها حيث نجد في معجم اوكسفورد SHORTER Oxford Dictionnaire تعريفا تقليديا مبسطا للرمز على انه ما يدل على شيء غير ذاته أو على شيء مكمل لذاته [...] لكنه يستمد قيمته أو معناه من المجتمع الذي يستخدمه، إذ ليس فيه خصائص ذاتية تحدد بالضرورة ذلك المعنى وتفرضه فرضا على المجتمع[1]، فالرمز هو نتاج ثقافي، حيث يعتبره غيرتز مفهوم واسع يشمل أي شيء لديه معنى معين لدى الأفراد[2]، كما يرى "غيرتز" أن الثقافة تمثل شبكة من المعاني نسجها الأفراد بأنفسهم وحول أنفسهم، وبهذا المفهوم فان غيرتز يرى أن

[1] أحمد ذيب شعبو، في نقد الفكر الأسطوري والرمزي (أساطير ورموز وفولكور في الفكر الإنساني)،ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2006، ص .38.

[2] السيد حافظ الأسود: الأنثروبولوجيا الرمزية " دراسة نقدية مقارنة للاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة وتأويلها"، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، 2001، ص.11.

الأنثروبولوجيا تعد اتجاها تأويليا يعطي معاني واسعة للحياة أكثر من كونها علم تجريبي يبحث عن القوانين، فالثقافة حسبه هي نمط من المعاني المتضمنة في الرموز المتداولة تاريخيا هي نسق من التصورات المتوارثة التي يعبر عنها في أشكال رمزية مختلفة. وبما أن موضوع البحث يهتم بمعاني ودلالات الوشم التقليدي عند المرأة فإن المقاربة التأويلية الرمزية تفرض نفسها منهجيا، لأن الممارسات المرتبطة بالوشم على الجسد الأنثوي تنطوي على دلالات رمزية تسعى الدراسة للكشف عنها، حيث قمت بجمع المادة الميدانية مباشرة من المبحوثين بواسطة الملاحظة والمقابلة المعمقة، وهذا بعد اختيار عينة نمطية تعد العناصر المكونة لها بمثابة نماذج لمجتمع البحث المراد دراسته، ثم قمت بالتعمق والتدقيق في الأسس الفكرية والمعرفية لهذه الرموز والأشكال الوشمية للوقوف على المعاني الكامنة فيها والتي يمكن أن يكون المبحوثين قد فقدوها.

كما استخدمت نموذج تحليل الصور المرسومة للباحث "جي جوتي(Guy Gauthier)"[1] بشكل جزئي في تحليل أشكال الوشم المختلفة.

وقد صغت النموذج بهذا الشكل:

أ. الشكل: أ1- تحديد المساحة والموضع الموجود فيه الوشم. أ2- تحديد طبيعة الشكل الموشوم وتاريخه. أ3- تحديد خصائص الوشم (اللون،الوضوح، العمق).

ب. تحليل عناصر الوشم من خلال المصرح به والمسكوت عنه.

2.2. تحديد مفاهيم الدراسة

2. 2. 1. الوشم

المفهوم اللغوي: يقول ابن منظور في معجمه (**لسان العرب**): أن الوسوم والوشوم هي العلامات[2]. ويقال أيضا "(أوشمت السماء: بدا منها برق)... (أوشم النَّبتُ إذا أبصرت أوله)... و(أوشمت الأعناب إذا لانت وطابت)... (أوشمت المرأة بدأ ثديها ينتأ) ... ويقول أيضا ابن منظور أن (الوشم ما تجعله المرأة على ذراعها بالإبرة) (بتصرف)"[3]، و"يرجع أصل كلمة وشم إلى اللغة الإنجليزية "تاتو" أي العلامة المرسومة على الجسد البشري، وهي كلمة ا2شتقت من اللغة البولينيزية "تاهيتي" وتحمل كلمة tatto المقطع ta والذي يعني علامة، هذه الكلمة دخلت على اللغة الفرنسية وكتبت tatouage ومنها انتقلت إلى اللغات الأروبية (بتصرف)"[4].

المفهوم الاصطلاحي: ويشير تعريف الوشم في الموسوعات العلمية على أنه "الفن الذي يتمثل في وضع علامة ثابتة على الجسم وذلك بغرز الجلد بالإبرة ووضع أصباغ تدخل إلى تلك الفتحات والجروح الناتجة عن الغرز فتمنحها لون دائم يشكل العلامة أو

[1] Guy. Gauthier , initiation a lasemiologie de l'image ;ch. Coriet , paris , 1984 , p.15 -17.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مادة "وشم"، حرف الميم، بيروت، لبنان، 2003.

[3] نور الهدى باديس: "الوشم الرمز والمعنى"، مجلة الثقافة الشعبية، العدد39،خريف 2017، البحرين، ص.146،145.

[4] فؤاد كاظم: "الوشم دراسة تاريخية في التقاليد الشعبية"، مجلة المأثورات الشعبية، العدد 14، 1989، مركز التراث الشعبي، قطر، ص.149.

الرسم الذي يود وشمه"[1]. "وعادة ما يكون الوشم بتثبيت الرسوم والخطوط عن طريق الوخز بالإبرة عدة وخزات ثم وضع الكحل أو أصباغ معينة مثل "النيلة" التي تُعطي الوشم لونه الأخضر أو الأزرق، وقبل ظهور الأصباغ كان يتم الرسم على الجسد عن طريق إيذاء الجلد أو حرقه، أو حتى عمل جروح فيه ومع التئام الجروح يظهر المعنى الأساسي للوشم"[2].

المفهوم الإجرائي: الوشم هو رسم شكل على جسد المرأة بمواد ملونة ثم القيام بوخز الجلد بالإبرة حتى يتم دخول الكحل لطبقة عميقة من الجلد فيدوم ذلك الشكل على الجسد، وله أغراض ودلالات ومعاني متعددة ثقافية وشخصية.

2.2.2 . الجسد

المفهوم الاصطلاحي: يعد الجسد معطى ثقافي بفعل الواقع، فهو نص، سواء أردنا ذلك أم لا، بإشاراته وضعياته، ملابسه، حليه، تزيينه وخاصة وشمه الذي يتميز بتعدد القراءة، فالجسد دوما هو موضوع عمليات حل الشفرات خاصة جسد المرأة في مجتمع تقليدي محافظ، إن الجسد بمثابة النص والوشم بالنسبة له يعد المدون المجهول الاسم فيه، لذلك يتخذ الوشم معناه وأهميته من كونه يتم دقه على الجسد الإنساني هذا الجسد المتعدد حسب رولان بارت (Roland barthes) فهناك: "الجسد الأنثروبولوجي الذي يتحول عبر التاريخ، والجسد الديني الذي يقيم صلة مع المقدس، الجسد الجمالي الذي أصبح موضوعا لتمثيليات فنية، الجسد الفرجة وهو جسد يكون دوما في حالة فرجة تجاه الآخر"[3]. ويرى أنتوني غيدنز (Anthony Giddens) أن "الجسد البشري لا يمثل كيانا فيزيقيا ماديا يعيش في فراغ أو خارج مؤثرات الحياة، وعلاقات وتفاعلات الإنسان مع السياق الاجتماعي، ومنظومة التجارب والبيئات النفسية والروحية والاجتماعية، بل هو رقم مهم في معادلة الحياة، وركن أساس في ديمومتها "[4]، فـ" الجسد مثَل منذ القدم ذلك الشيء المزين والمقنع، والمتغير بتغير المجتمعات والثقافات، فهو الرمز الذي يستعمله كل مجتمع على حدة لكي يتحدث عن إستيهاماته عبر سيرورة يعلن من خلالها مختلف الوسائل التي يستثمرها فيه، ولعل ذلك ما أدى بالبعض إلى اعتبار الجسد بمنزلة ترميز متميز، يتحول فيه الإنسان من مجرد كائن حي ذي غرائز عنيفة إلى كائن قادر على أن يتكلم عن العالم وعلى ذاته "[5]، وينظر مارسيل موس للجسد على أنه عبارة عن مجموعة من الأدوات أو التقنيات التي من خلالها سيتم كشف واكتشاف كل القوانين وكل الإمضاءات المضادة التي تكتب على الجسد من قبل القوى الاجتماعية المتصارعة وفي المجتمع الجزائري التقليدي هناك اهتمام قوي بالشرف الذي يرتبط بجسد المرأة لذلك يتم مراقبتها في كل تصرفاتها ولعل هذا ما جعلها تتخذ من الوشم وسيلة للتعبير.

المفهوم الإجرائي: الجسد الأنثوي هو معطى ثقافي يخضع للعديد من الضوابط وهو ذلك الجسد الموشوم بمجموعة من الرموز والأشكال الدائمة والتي تحمل العديد من الدلالات.

---

[1] Grand Larousse : Universel, vol.14, France, 1987, p.10064.

[2] مروة عبد العليم: "الوشم في افريقيا"، مجلة افريقيا قارتنا، العدد العاشر، يناير 2014، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، مصر، ص.02.

[3] الزهرة إبراهيم: الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية (وجوه الجسد)، المائة للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، 2009، ص.90.

[4] أنتوني غدنز: علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، تر: فايز الصباغ، ط4، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، بيروت، 2005، ص.225.

[5] مازن مرسول محمد : حفريات في الجسد المقموع (مقاربة سوسيولوجية ثقافية)، دار الأمان الرباط، المغرب، 2015، ص.34.

3. الدراسات السابقة والمشابهة

الدراسة الأولى: هي دراسة لزهرة ابراهيم المعنونة بـ **"الأنثربولوجيا والأنثربولوجيا الثقافية (وجوه الجسد)"** حيث استفدت مما ذكرته الكاتبة عن الوشم وذلك في سياق حديثها عن الجسد، وقد تناولت كل من الجسد واللباس وأيضا الجسد العاري والجسد الموشوم، وقد ذكرت أن للوشم وظائف علاجية وتزينية وسحرية بشكل مختصر دون تفاصيل ولا ربط للوشم بمنطقة جغرافية معينة، لأن الوشم لم يكن موضوعها الأساسي بل كان عنصر جزئي من دراسة واسعة عن وجوه الجسد، لذلك لم تحدد دلالات ورموز الوشم إلا بشكل عام دون تفاصيل عكس ما أصبو إليه في هذه الدراسة. وقد استفدت أيضا منها في تحديد مفهوم الجسد وفتحت لنا نوافذ عن أهمية الجسد وكيف يتم وسمه بثقافة المجتمع.

الدراسة الثانية: هي لعبد الكريم الخطيبي المعنونة بـ "**الإسم العربي الجريح**" وقد افرد فصل للوشم عنونه بـ الوشم: كتابة بالنقط ويعد هذا الفصل الأكثر أهمية وإثارة حيث بين فيه علاقة الوشم بالكتابة ثم حدد أصل كلمة وشم ومصدرها الولينيزي ثم تطرق لتحولات الوشم من نقطة إلى مستقيمات وأشكال هندسية وأشار إلى ظهور العدد خمسة بكثرة في الوشوم حيث تكون غالبا الوشوم عبارة عن خمسة خطوط وتكلم في عنصر اقتصاد الأدلة بأن الوشم بمثابة لباس مكتوب تتعدد دلالاته إلا أنه أشار انه لا توجد أي علاقة بين الوشم واسمه ولم يركز على تقديم معاني الرموز باستثناء الخميسة. وقد استفدت منه في فهم أشكال الوشم بمنطقة الدراسة التي تعتبر غالبيتها أشكال هندسية، واتضح فعلا أن رقم خمسة جد منتشر في الوشم.

الدراسة الثالثة: هي لصوفية السحيري بن حتيرة، وقد تمت بتونس حيث تطرقت في كتابها "**الجسد والمجتمع (دراسة أنثروبولوجية لبعض المعتقدات المتعلقة بالجسد)**" إلى الممارسات المتعلقة بالجسد الأنثوي وعلى رأسها الوشم، وبينت أن النساء غالبا يوشمن أبنائهن لاعتقادهن في مفعولها السحري والعلاجي وبينت أنه يوجد وشم يسمى العياشة لأنه يعتقد أنه يحفظ الحياة وأيضا يتم الوشم للبنت عند سن الرشد وشم السيالة وهو وشم يزين ويحلي جبين البنت، كما يتم وشم عانة الطفل بغرض الحفاظ على رجولته. وقد استفدت منها أنها وجهتنا للبحث عن هذه الأنماط من الوشم بالمنطقة ومحاولة مقارنتها مع ما ذكرت الباحثة لإضفاء الموضوعية على دراستنا الكيفية.

الدراسة الرابعة: هي لجميل حمداوي الموسومة **"بظاهرة الوشم في الثقافة الأمازيغية (مقاربة سيميو– أنثروبولوجية)"** وقد قدم فيها الوشم عند الأمازيغيات من جانب مفهومه أنواعه ومواقع رسمه على الجسد وتقنياته وأوقات ضربه ووظائفه وهذا عمل جيد زودنا بمعلومات واسعة حول الوشم عند الأمازيغ بصفة عامة، أما دراستي فهي تسعى لأبعد من ذلك حيث تهدف إلى فهم أغراض ومعاني ودلالات الوشم، وتحليل بعض رموز وأشكال الوشم في منطقة جبلية بجيجل. وقد استفدت منه في طريقة التحليل للموضوع وضبط عناصر الوشم.

4 . لمحة تاريخية عن الوشم في شمال إفريقيا

يعد الوشم من الظواهر الاجتماعية التي عرفتها الشعوب منذ عصور ما قبل التاريخ، وغالبا ما يتم ربط البدايات الأولى لظهور الوشم بالطوطمية[1]، "ففي الطوطمية لابد من تقديس طوطم معين فيحرم على جميع أفراد العشيرة أن يمسوا بسوء طوطمهم الخاص كما يحرم عليهم أن يأكلوا لحمه أو يدخلوا شيئاً من عناصره في أجوائهم ومخالفة هذه القاعدة تعد في نظر هذه العشائر من أكبر الجرائم وكانت الطريقة المثلى لتبجيل طوطمهم بصورة رمزية هي اتخاذ رمز لطوطمهم ورسمه على أجسامهم عن طريق الوشم (بتصرف)[2]"، ويرى بعض الأنثروبولوجيون "أن الوشم الذي يزين به الريفيون أيديهم وصدورهم وشفاههم ووجوههم لم يكن في يوم من الأيام من عبث هؤلاء المعلمين، وإنما يعود إلى التاريخ القديم عندما كان الناس يعيشون في حياة بدائية يقدسون فيها بعض الحيوانات، ويخشون بعض مظاهر الطبيعة كالموج والرياح والمطر والرعد. فكانوا يصورون طوطمهم بشكل رمزي ويضعونه وشما على أجسامهم ولذلك ظهر الوشم في المجتمعات الطوطمية التي تتألف من قبائل وعشائر صغيرة لكل منها له طوطمه الخاص، وهو عبارة عن نوع حيواني أونباتي أو أحد مظاهر الطبيعة التي ترتبط بها العشيرة وتتخذها رمزا لها"[3]. وقد كان للوشم في بداية ظهوره وظائف دينية وسحرية كما كان يعبر عن الانتماء للعشيرة، ثم أصبح له وظائف علاجية وتجميلية لدى الكثير من القبائل البدائية وهي من أهم الوظائف التي مازال يؤديها الوشم في وقتنا الحاضر إضافة للوظيفة الهوياتية إلا أنه أصبح يعبر عن الهوية الفردية أكثر من الهوية الجماعية أو أنه أصبح يعبر عن تلك الجماعات التي تعتنق ثقافة فرعية.

ولقد " ظهر الوشم قبل الميلاد، وأول رسم لوشم معروفة على جسم الإنسان ترقى إلى حوالي 6000 قبل الميلاد وجدت في رسوم الكهوف في أوروبا، وكان الرومان والإغريق يستخدمونه في دمغ العبيد، وهو يعتبر من أقدم العادات التي مارسها (السومريون) سكان جنوب وادي دجلة والفرات منذ مطلع التاريخ إذ كانوا يزينون أجسامهم بالوشم"[4] .

وللوشم جذور تاريخية تمتد إلى عصور ما قبل التاريخ، فقد أعتبر بمثابة تعويذة ضد الأرواح الشريرة ووقاية من أضرار السحر،وقد عثر على جثث تعود إلى العصر الحجري الحديث والتي تثبت الممارسات القديمة للوشم، كما أستخدم الوشم لتحديد الانتماء القبلي وتمييز مجموعة بشرية عن غيرها[5]. ويرى بعض الباحثين أن زخرفة الجسد بالوشم خطوة أنتقل إليها الإنسان بعد أن عرف تزيين الجسد بالأصباغ والألوان المتعددة والتي كانت تزول سريعا وللحفاظ على الأشكال المرسومة بالأصباغ وجد الإنسان في

---

[1] والطوطمية هي عبارة عن ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية (عشيرة، قبيلة) مع طوطم هذا الطوطم قد يكون حيوان أو نبات أو ظاهرة طبيعية تعتقد الجماعة أنها مرتبطة به روحيا فتتخذه رمزا طوطميا لها.

[2] عبد الحكيم خليل سيد أحمد: التجليات الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي بين الخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية، المؤتمر الرابع للفن والتراث الشعبي الفلسطيني(واقع وتحديات)، 6،10 أكتوبر2012، ص. 03.

[3] بركات محمد مراد: " فن الوشم رؤية أنثروبولوجية نفسية"، مجلة الثقافة الشعبية، العدد03، السنة الأولى 2008 ، البحرين، ص. 68.

[4] المرجع نفسه، ص. 03.

[5] حسين عباسي: "الوشم لدى قبائل إفريقيا الوسطى (الذات والموضوع)"، مجلة الثقافة الشعبية، العدد13، ربيع 2011، البحرين، ص.84 .

الوشم الحل المطلوب لأنه يرافق الجسم مدى الحياة، وكانت وظيفة هذه الرسوم والألوان على جسد الإنسان في البداية لإخافة الأعداء من خلال ما رسموه من صور ورموز وأشكال ذات أغراض سحرية[1].

أما الإنسان بشمال افريقيا(الأمازيغي) فقد عرف الوشم منذ القدم[2]، ومازال الوشم منتشر في الوقت الحاضر لدى النساء كبيرات السن، ولهذه الوشوم دلالات ومعاني لأن علاقة الانسان بالوشم أقدم من الملابس كما يقول بلقاسم الجطاري " الوشم سبق الملابس إلى الوجود. فالإنسان الأول أو الإنسان في أولى مدارج حياته وهو ما نطلق عليه (اسم البدائي) قد عني بزخرفة جسمه بطرق مختلفة، هذه الطرق يبدو أن جميعها مازال مستخدما من طرف المجتمع الأمازيغي، ومن بينها تخصيب المرأة الأمازيغية جلدها بالأصباغ والألوان من خلال وخزات الإبر، وهو ما يسمى بالوشم الذي مازال يمارس حتى الآن في بعض المناطق الريفية عند الأمازيغ بالجزائر وتونس والمغرب (بتصرف)"[3]. ويمكن القول أن الوشم كان منتشر بجيملة قبل السبعينات بين النساء لكن بعدها أخذ في الزوال واليوم لم يبقى إلا عند كبيرات السن أو الوشم العلاجي وخاصة عملية أشليط[4] التي تعد جزء من الوشم.

5. الإجراءات المنهجية الميدانية

5. 1. تقنيات وأدوات الدراسة

لكل دراسة ميدانية إجراءاتها المنهجية التي تعتمد عليها في الجانب الميداني وبما أن دراستنا كيفية تبحث عن الفهم بدلا عن التفسير لموضوع الوشم فإن الملاحظة بالمشاركة والمقابلة تفرض نفسها علينا.

الملاحظة بالمشاركة

تحتاج الملاحظة إلى "ذلك الحضور الفيزيائي الوحيد في قلب الحدث الاجتماعي، تتأكد على الفور أهميتها ودورها التقني والتحليلي المميز للنظرة الإنسانية، فهي تسمح بمعرفة المكان ومعاينة فضاء الأشياء المادية والأماكن والتعرف المباشر على المبحوثين"[5]، إن معرفة التصورات والمعاني الكامنة وراء الممارسات لا تتحقق إلا بالتغلغل والاندماج في المجتمع، مما يجعل الملاحظة بالمشاركة هي التقنية الأنجع للكشف عن حقائق الظواهر كما يراها ممارسوها، ورغم أنني كنت في الصغر عضو في المجتمع إلا أن موضوع الوشم يبدو غريب عني لأن محاولة فهم معانيه لابد أن تعتمد على تصورات ومعاني الوشم كما هي عند النساء الواشمات. لذلك كانت العينة نمطية تم انتقائها بهذه الطريقة: أولا تحديد عشرة مداشر ودواوير من بين 19 دوار ودشرة توجد ببلدية جيملة، وقد تم اختيار هذه الدواوير والمداشر عن قصد بدافع موضوعي وهو وجود النساء الواشمات بها، ودافع ذاتي هو أن لي علاقات بسكان هذه الدواوير تسمح لي بالالتقاء بالنساء الواشمات وإجراء معهن حوارات وملاحظة الوشوم التي على أجسادهن، ثانيا تم اختيار النساء

---

[1] أيمن اسكندر، عبد المنان شما: "فن التصوير من جلد الأنسان إلى التصوير الزيتي"، مجلة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد الرابع والعشرون، العدد02، 2008، ص.05.

[2] George Gobert: Notes sur les tatouages des berbères, Paris, édition dunod,1984, P. 27.

[3] بلقاسنم الجطاري: الوشم كظاهرة سيميوطيقية في الثقافة الأمازيغية، (سؤال الثقافة – الأمازيغية: البناء والنظرية)، منشورات كلية الآداب، وجدة، المغرب،2000، ص.67.

[4] أشليط هو عبارة عن إحداث خطوط بآلة حادة على جسم المريض ثم وضع البارود فوقها فتصبح وشم.

[5] Copans, Jean : L'Enquête ethnologique de terrain, Paris, éd, Nathan, 1996 , p. 78.

الممثلين لعناصر العينة أيضا عن قصد على أساس أن كل واحدة منهن بمثابة نموذج لعناصر البحث لكونها كل امرأة قد قامت بالوشم مرة واحدة على الأقل. وقد كان عدد عناصر العينة هو خمسون (50) امرأة واشمة.

وقد كنت اطرح أسئلة متعددة بداية بالتعرف على المواد المستعملة في الوشم وطريقة تحضيرها، ومناسبة القيام به وأهم أغراضه ودلالاته، كما طرحت أسئلة للتعرف على تصورات الواشمة لتجربتها الشخصية مع الوشم. وقد طلبنا من إحدى الواشمات أن تقوم بتمثيل عملية الوشم، فوافقت دون تردد لكن اشترطت أن يكون الوشم بالأصباغ بدلا من الإبرة، وذلك لتجنب ديمومة الوشم الذي أصبح غير مرغوب فيه عند الفتيات الشابات، وهذا التمثيل لعملية الوشم يهدف للتعرف على جو إقامة الوشم سابقا وما يرتبط به من ممارسات.

المقابلة المعمقة النصف موجهة

المقابلة تعتبر "الوسيلة التي قد لا يستغني عنها أي باحث، إذ أن بعض الجوانب تحتاج إلى تفسير من قبل المبحوثين، فكثير من النواحي الشخصية تصل في دقتها إلى درجة لا يتسنى معها الحصول مكانها على بيانات إلا عن طريق المقابلة"[1]. ونظرا لطبيعة الدراسة الكيفية ونظرا لسن المبحوثات كان لابد من الاعتماد على دليل للمقابلة يتميز بالمرونة في التطبيق، ويعتمد على أسئلة مفتوحة، تسمح لكل مبحوثة بالإجابة بكل حرية للتعبير عن تصوراتها فيما يتعلق بالوشم وأهميته وكيفية القيام به، والسياق الذي تتم فيه العملية، وذلك للوقوف على أهم معاني الوشم ودلالاته الثقافية، ولا نتدخل إلا لتشجيع المبحوثات على الكلام مع محاولة توجيههم للاستمرار في الكلام عن الوشم وعدم الخروج عن الموضوع، وقد أجرينا عشر مقابلات استغرقت كل مقابلة ما يقارب الساعة، خاصة مع ثلاث نساء لهن خبرة في الوشم وهن محترفات في القيام بدق الوشم لمن تطلبه.

وقد اعتمدت على التحليل الموضوعي للمقابلات، حيث يفرض الالتزام بضوابط بداية من طريقة إجراء المقابلة في حد ذاتها وذلك بالحرص على التحقق من تطابق ما افهمه كباحث مع المعنى المقصود من المبحوث، وذلك بطرح تساؤل بالقول هل ما تقصده هو كذا وكذا؟. كما أنني كنت دوما أحرص على أن يكون السؤال مفهوم وبسيط مع مراعاة التدرج في طرح الأسئلة من البسيط إلى المعقد.

5. 2. مجالات الدراسة

المجال المكاني: لقد تمت الدراسة بمنطقة جيملة ولاية جيجل وهي منطقة جبلية ريفية تقع في الجنوب الشرقي لجيجل ويرى محمد مبارك الميلي أن منطقة جيجل كانت تسكنها قبيلة بربرية (أمازيغية) تسمى كتامة " وهي من أكثر قبائل البربر عددا وأشدهم قوة وأطولهم باعا في الملك ... ولهذه القبيلة بطون كثيرة المعروف منها عند بن خلدون ثمانية عشر بطنا ... وكتامة بجميع بطونها كانت تقطن الساحل البحري من بونة إلى بجاية وتتقدم في داخل الوطن إلى حدود الأوراس"[2]، كما يذكر علي خنوف أن "منطقة جيجل يعد العنصر الأمازيغي أول من دخلها... ودخلت عليها عناصر جديدة أندلسية وعربية وتركية أما بالنسبة للعمق التاريخي،

[1] غريب، سيد أحمد: تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، دار المعرفة، مصر، 1993، ص. 298.

[2] مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، (د، ت)، ص. 100،101.

فلا يتعدى القرن الثاني الميلادي على أبعد تقدير لأن المنطقة قبل ذلك كانت عبارة عن غابات بكر، ويرجح هذا الاحتمال الأساطير المتوارثة ومجريات الأحداث التاريخية التي مرت بها المنطقة والواقع الملموس"[1].

أما من ناحية البناء الاجتماعي وبالضبط دور المرأة التي تهتم الدراسة بالوشم عندها أذكر أن دور المرأة في المجتمع بجبال جيجل كبير سواء داخل الأسرة أو في المجتمع، فهي وإلى جانب دورها التربوي والعناية بالأبناء، تساهم بقسط كبير في الاقتصاد المعيشي، لأنها تمارس نشاط زراعي معاشي وهي أيضا تتقن عدة حرف منها حرفة صناعة الأواني الفخارية (القلة، الزير، الطاجين...إلخ). وغالبا ما تقوم المرأة بجبال جيجل بتزيين هذه الأواني الفخارية برموز وأشكال تشبه الرموز التي تستعملها في تزيين منسوجاتها كالحنبل والزرابي المنسوجة من الصوف، هذه الرموز تمتد للظهور على جسد المرأة في أشكال مختلفة حيث تنقش في شكل وشم دائم أو بواسطة وشم زائل بالحناء. إن من يشاهد النساء الكبيرات في السن يلاحظ وجود الوشم في عدة مواضع من أجسادهن، فقد كانت المرأة بالمنطقة تشبه غالبية نساء الأمازيغ حيث تدق الوشم في الرأس وتحت الأذن وفي الوجه وبين الحاجبين والجبهة والذقن والخد وفي اليدين في المعصم والكف وعلى النهدين والظهر والفخذ والركبة والقدم والساقين والرجلين، وهذا ما أثار الفضول عندي وكان منطلقا للتساؤل عن أغراض ودلالات الرموز المستعملة في الوشم؟.

المجال الزمني والبشري: امتدت دراستي زمنيا لسنتين من بداية 2018م إلى نهاية 2019م، حيث قمت في المرحلة الأولى بدراسة استطلاعية لاستكشاف الميدان والتعرف على بعض الأشخاص والعجائز اللواتي لهن معرفة بالوشم، المرحلة الثانية قمت خلالها بتفحص الأدبيات والدراسات النظرية حول الموضوع والنزول للميدان لإجراء المقابلات، وقد مكثت بالمنطقة لمدة أسبوع من أجل التعرف أكثر على النساء الواشمات أو اللواتي لهن خبرة في القيام بدق الوشم فكانت السيدة دلولة والحاجة الطاوس والحاجة الزرزورية من اللواتي لهن خبرة في القيام بدق الوشم للفتيات الراغبات في ذلك، ويعد فصل الربيع والمناسبات السعيدة كالأعراس من أهم الأوقات للوشم وأيضا في مناسبة إحياء الزردة السنوية للولي سيدي بوعزة، وقد تمكنت من التعرف على كيفية القيام بعملية الوشم والأدوات المستعملة وأهم الأشكال التي ترسم على جسد المرأة والأماكن المفضلة من الجسد لوضع الوشم والغرض منه، أما المرحلة الثالثة فكانت لإجراء عشر مقابلات مع نساء واشمات وثلاثة لهن خبرة في دق الوشم لمن تطلبه حيث تنحصر أعمار المبوحوثات بين 60 سنة و75 سنة، ونشير أن عينة البحث تتكون من خمسين امرأة واشمة طبقنا عليهن تقنية الملاحظة بالمشاركة مع حوارات عن الوشم بشكل تلقائي لا يتجاوز عشرة دقائق لكل امرأة، وقد اخترنا عشرة منهن لإجراء مقابلات معمقة لأنه اتضح لي أنهن يمتلكن معرفة جيدة بالوشم ولهن ذاكرة قوية ثلاثة منهن خبيرات في القيام بدق الوشم.

6. أغراض الوشم التقليدي لدى نساء منطقة جيجل

الوشم بغرض التجميل: ويشير الدكتور" كيمير" "kaimer " أنه درس أثارا للوشم على موميات راقصات فرعونيات، ولاحظ الأجزاء التي بها الوشوم تطابق مكان وضع الحلي والأحجبة[2]. انطلاقا من قول"kaimer " يمكن القول أن للوشم بمنطقة الدراسة دور تجميلي كبير لكن لا يمكن تأكيد أن الوشم يوضع في أماكن وضع الحلي، بل ما تم ملاحظته أنه يوضع على الخد والجبهة واليد

[1] علي خنوف: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، ط1، ومنشورات أنيس، الجزائر، 2007، ص.27.

[2] عبد الحكيم خليل سيد أحمد: (مرجع سابق)، ص.04.

والذقن ولم نجد عند نساء عينة الدراسة من وشمت ما يشبه العقد على الرقبة ولا يوجد ما يشبه الخلخال، ومع ذلك فقد اهتمت المرأة بجبال جيملة بجيجل بالوشم التجميلي اهتماما كبيرا، حيث قالت المختصة بالقيام بدق الوشم السيدة (دلولة) أن المرأة ذات البشرة البيضاء يستحسن أن يكون لون الوشم عندها أزرق أو أسود لكي يزيدها جمالا، أما المرأة السمراء فأحسن الألوان هو الأزرق والأخضر، كما يبدو أن الوشم لا يزين المظهر فحسب، بل يسود بين نساء المجتمع اعتقاد أن للوشم قدرات سحرية لأنه يضفي على الموشومة هالة وسحر وسر مما يجعلها قادرة على فتن الرجال ليغرموا بها، بل أكثر من ذلك فهو يطرد عنها التأثيرات السلبية التي تؤثر على جمالها لأنه يقف في وجه تأثير العين الحاسدة.

إن أماكن وضع الوشم التجميلي الأنثوي بمنطقة الدراسة يكون في المواقع الظاهرة من الجسد وعلى رأسها الجبهة أو الذقن أو الخد ويكون الوشم ظاهر وواضح وعميق ومتقن، وهذا النوع من الوشم ما زال ظاهرا على جباه النساء في شكل علامة زائد (+) أو نقاط على الزندة أو فوق ظهر الكف. إن تصورات المرأة حول ظاهرة الوشم التجميلي تختلف بين الأم التي تؤمن فعلا بقدرات الوشم السحرية على خلاف الفتاة التي تضعه غالبا في سن البلوغ استجابة لإلحاح أمها وتشبها مع أقرانها.

كما أن فهم رموز الوشم يحتاج لنظرة تاريخية حيث تشير الدلائل الأثرية حسب ما لاحظ (Lane) أثناء إقامته بمصر أن النساء لاسيما فى صعيد مصر وبعض مناطق الصحراء في شمال أفريقيا، لازلن يقمن بوشم الشفة السفلى باللون الأخضر ويمتد منها إلى أسفل الذقن تضعه الفتاة كنوع من التجميل والزينة، وأيضا يقمن بوشم ظهور أيديهن وأذرعهن وأقدامهن والوسط تماما كما كان الحال في بعض المومياوات المصرية القديمة[1]. هذا الاستخدام التجميلي للوشم عند المرأة بجبال جيجل تقول عنه المبحوثات أنه يرتبط بمناسبات منها البلوغ أو قبل أن تزف الفتاة عروس، حيث تزين جسدها بوشم رموز وأشكال متعددة في جو طقوسي، تجتمع فيه الكثير من الفتيات للتنافس في إظهار تحمل الألم والتفاخر بأحسن أشكال الوشم التي تعتبر رموز لها بعدها الاجتماعي والشخصي في وقت واحد حيث يقول الباحث عبد الرحمان خليفة أن " هذا الفرض للرموز التزيينية imposition de motifs d'ornementation .... يعود لما تضفيه رموز الوشم من جمالية وفتنة متميزة على الفتاة العروس لدرجة أصبح فيها جمال المرأة يختصر في سواد العيون وزرقة الوشم "[2].

وتتشابه منطقة الدراسة مع الكثير من مناطق المغرب الكبير حيث في "الجزائر وتونس والمغرب وأجزاء من الصحراء الليبية ينتشر الوشم كعملية جمالية ... والرجال والنساء كانوا يضعون الوشم على وجوههن في قرطاجة"[3]. والوشم التجميلي بمنطقة الدراسة يمكن أن يكون امتداد للوشم القرطاجي إلا أنه يرتبط بفصل الجمال والورود إنه فصل الربيع حيث تقوم به امرأة مختصة في مهنة دق الوشم وترسم الزهرة الخماسية سداسية والنقاط السوداء فوق الخد وغيرها من الأشكال التي تتزين المرأة بواسطتها، كما أن الرجال لا

[1] زينب عبد التواب رياض خميس: "الوشم في عصور ماقبل التاريخ"، مجلة البحوث التاريخية، العدد 03، جانفي 2018، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة لمسيلة محمد بوضياف، ص.14.

[2] Abderrahmane Khalifa : signes berbères à travers les tatouages thèse de magistère, école supérieur des beaux arts – Alger 2007, P74.

[3] زينب عبد التواب رياض خميس: "الوشم في عصور ماقبل التاريخ"، ص. 72.

يشمون إلا ناذرا ولأسباب علاجية أو عاطفية ولا يشمون للتجميل أبدا لأن صورة الرجل الواشم في المجتمع سيئة، وهذا ما بينته الثقافة الشعبية من خلال الأمثال حيث يقول المثل الشعبي " **الي فاتته الرجلة يلحقها بالوشام**" أي من لم يستطع أن يتصف بصفات الرجال ومنها الشجاعة لا يمكن أن يعوضها بوشم السيف أو الأفعى ليوهم غيره أنه شجاع، أما المرأة الواشمة فصورتها عكس الرجل حيث تغنى بها الكثير من الشعراء والمغنين الشعبيين. وفي تغنيه بالمرأة الواشمة يقول الفنان عيسى الجرموني:

حدة يا حدة وايجيك الوشام،،،، يوشم الزندة ويحط الذبان، والجرموني هنا يشير للوشم الشبيه بالذبانة والذي يشبه الخانة على الخد وما تعطيه من جمال.

ويقول الشاعر طرفة بن العبد في معلقته الشهيرة:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد ،،"،، تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد. والشاعر يتغنى بلمعان وشم خولة وهو بظهر يدها. ولا تقتصر أغراض الوشم على أداء وظيفة جمالية بل له أغراض علاجية وقائية وسحرية والتي سوف نتطرق لها فيمايلي.

الوشم بغرض العلاج والوقاية: ينتشر عند سكان المنطقة الجبلية بجيجل الوشم بغرض العلاج والذي يتشابه مع ما هو منتشر عند كل شعب شمال إفريقيا حيث يتم " وشم صورة لطائر ما يعتقد أنه الهدهد على الصدغ لحماية الرأس من الآلام والصداع، واقتصر الوشم عند البعض من القبائل الريفية عادة على نقطة واحدة بسيطة فوق الذقن، وأخرى على الجانب الأيمن من الأنف للحماية من آلام الأسنان، وأخرى في بداية الجفن للحماية من أمراض العين"[1]. واستعمال الوشم في العلاج غند الأمازيغ لا يعد ممارسة متفردة بل توجد" بعض القبائل التي مازالت تعيش في غابات وأحراش أمريكا اللاتينية وإفريقيا ... يعتقد الأفراد تلك القبائل أن الوشم هو درع واق ضد الأمراض وطارد للشياطين التي تدخل إلى جسم الإنسان وتسبب له الألم، لهذا فإن الجسم هو القوة المضادة لذلك، فهو يحقق التوازن الجسدي بين الخير والشر"[2].

"هذا وربما استخدم الوشم في مصر القديمة كتميمة خلال الحمل والولادة، والدليل على ذلك أن غالبية الوشوم وجدت حول منطقة البطن وأعلى الفخذين والصدر"[3]. و" كان قدماء العرب في شبه الجزيرة العربية يضعون وشما على وجه المريض وجانبي رأسه حين يشعر الإنسان بالصداع، كذلك على الظهر واليدين والقدمين حين يعاني المريض من ألم في العمود الفقري أو في مفاصل الأطراف، حتى أن هذه الظاهرة مازالت متبعة إلى يومنا هذا في أرياف وبوادي العراق"[4]. و"يستخدم الوشم لدى القبائل الإفريقية في العلاج والتطبيب فهم يعتقدون أن تلك الندوب والعلامات التي يحدثها الخدش• تحمي من أمراض العيون والصداع وأمراض

[1] المرجع نفسه، ص.69.

[2] بركات محمد مراد: (مرجع سابق)، ص.69.

[3] زينب عبد التواب رياض خميس: "الوشم في عصور ماقبل التاريخ"، ص. 15.

[4] المرجع نفسه ، ص. 69.

• الخدش بمعناه الاجتماعي لدى قبائل إفريقيا الوسطى هو طقس العبور من الطفولة للرشد والانتماء للجماعة ويتم عن طريق إحداث جروح على بشكل خطوط غالبا ليخرج منها الدم ولها وظائف جمالية سحرية وهوياتية ودينية ولتعويد الافراد على الشجاعة والمحبة والصداقة.

الرأس كما تساهم في إخراج الأورام حيث أن الندب يخرج كل السموم الداخلية الموجودة في جسم الإنسان، كما أنه يعتبر علاجا يقدمه سيد القبيلة أو كبار السن لقناعتهم بأنه يقوي الأعصاب الداخلية"[1].

وفي منطقة الدراسة بجبال جيجل هناك وشم يمكن أن نسميه بالوشم الوقائي والذي يطرد الأرواح الشريرة حيث أن المرأة التي يكثر وفاة أبنائها بعد الولادة تقوم بوشم إما على جبهتها أو جبهة المولود – ذكر، أنثى– الذي يموت الأولاد بعده حيث يتم وشم علامة زائد أو خطوط أو شكل معين والغرض من هذا هو التخلص من الأسباب الخفية والتي تؤدي لوفاة الأبناء بعد الولادة فيعتقد أن هذا الوشم يضمن أن يعيش الأولاد وقد وضعنا صور عن هذا في الملاحق.

وأهم الأمراض التي تعالج بالوشم في المنطقة هي: وشم المعصم يقي من الالتواء، والوشم في العنق يحمي من الأرق ويشفي مرض اللَّسعَة (le goiter)، والوشم فوق حاجب العينين يخفف ألام العيون، ونشير أن المرأة الجيجلية لا تقوم بالوشم على البطن لان البطن بالنسبة لها هو رمز العطاء والحياة، وهذا يتماشى مع ما ذكره "فريقا من علماء الاجتماع والاثنوغرافيين المتخصصين في شؤون المجتمع القبائلي يجزمون أن الوشم لدى المرأة القبائلية قد وجد لتحديد هوية سلوكية ثقافية تتوخى إبلاغ وقائع طقوسية تتعلق بقيم ثقافة مرجعية كالقيمة العلاجية la valeur prophylactique والتي تشكلها أشكال الوشم المرسومة على الرقبة le cou والتي تخفض وتقي من اللَّسعَة (le goiter)، الداء المنتشر بكثرة في وسط النساء القبائليات (بتصرف)"[2] هذا الداء مازال منتشرا لدى نساء جبال جيجل وبينت الدراسة الميدانية أن خمس واشمات قد وشمنا على الرقبة بغرض العلاج من اللَّسعَة (le goiter).

كما يستعمل بمنطقة الدراسة نوع من الوشم، والذي يسمى **اشليط**، حيث يتم إحداث جروح بشفرة حلاقة في شكل خطوط متوازية عددها خمسة، ثم تلون بالرصاص فتصبح بمثابة وشم ذو لون اسود، وذلك بغرض علاج مرض يسمى بالمنطقة "**الصفاير**" وهو مرض يصيب الأطفال الصغار في الكبد، ونفس هذه الممارسة تستخدم لما يسمى عملية عند سكان منطقة الدراسة "**التصفاح أو اربيط**" وهي ممارسة تهدف للإبقاء على عذرية الفتاة والحيلولة دون فقدان عذريتها إذا انحرفت وتجرأت عن ممارسة الجنس مع عشيقها خارج إطار الزواج، حيث يتم وشم خطوط مخفية في فخذ البنت الصغيرة ولا يتم تلوينها ويرافقها كلام لاتمام الطقس السحري بالقول البنت حيط وولد الناس خيط .

الوشم بغرض إثبات الانتماء والهوية: وهو الوشم الذي يوضع من أجل التعبير عن الهوية القبلية أو الهوية الشبابية أو حتى الوشم المعبر عن بعض الفئات الاجتماعية (فئة المنبوذين، أو فئة الشواذ)، وهذا الوشم الهوياتي يستعمل" كذلك للربط بين القبلية والانتماء للعشيرة وبين الرموز الطوطمية التى كان يتم رسمها كوشم على الجسم تعبيرا عن الانتماء للعشيرة من ناحية وللرمز الطوطمي من ناحية أخرى"[3]. وما يجعل الوشم جزء من هوية الأمازيغ هو كونهم استمدوا "العناصر الزخرفية للمصنوعات الفخارية والجلدية والفضية من الوشم نفسه ولا تزال قبائل البربر تستخدم بعض الكتابات والرموز الزخرفية في تزيين بيوتها القديمة، ولهذا، نرى المرأة

[1] حسين عباسي: (مرجع سابق)، ص.89.

[2] Jacques servier : les rites du tatouage berbères, Paris : édition dunod, 1980, P106.

[3] حسين عباسي: (مرجع سابق)، ص.15.

البربرية، لا تزال تحمل في بعض المناطق الظاهرة من جسدها وشما يمثل أحد حروف اللغة البربرية ... كما أن الوشم عرف في جميع الثقافات الآدمية، وارتبط بها كتعبير جسدي له مدلولات تختلف من ثقافة لأخرى"[1].

كما أن "الحياة الاجتماعية لدى المجتمعات الأمازيغية لم تكن ممكنة إلا بفضل الرموز والطوطمية هي أحد أوجهها، وكان الوشم هو الطريقة المثلى من أجل إظهار الرمزية الطوطمية. فيلجأ السكان بشكل جماعي، غالبا، إلى رسم الرموز على أجسادهم أو وشمها بغية تأكيد انتمائهم لقبيلة ما أو مجتمع معين وهنا، يظهر الوشم كشكل من أشكال التعريف الذاتي لتأكيد الهوية فالوشم يعني لصاحبه تأكيد ذاته وإصراره على انتمائه لتقاليد قريته الأزلية"[2]. وفي منطقة الدراسة لم نستطيع تحديد الوشم الذي يعتبر محدد للانتماء القبلي بشكل واضح وجلي، ومع ذلك لا توصلت من خلال المقابلات أن بجيملة يوجد عرشين كبيرين هما بني عافر وبني خطاب وهناك فروق بينهما في الوشم فعند عرش بني خطاب لا يتم تلوين الوشم بالأسود وهذا عكس عرش بني عافر الذين لا يستعملون اللون الأسود في الوشم، كما يتميز بني عافر عن نساء بني خطاب كونهن لا يكثرن من الوشم في الوجه عكس بني خطاب اللواتي يوشمن بكثرة في الوجه.

7. رموز الوشم التقليدي لدى النساء بجبال جيجل ودلالتها الرمزية

7. 1. أكثر رموز الوشم الأنثوي التقليدي المنتشرة بمنطقة الدراسة

تعد النقطة من أشهر الرموز والأشكال المستعملة في الوشم قديما وحديثا في الكثير من المجتمعات و" قد كانت أغلب الرموز الوشمية عبارة عن نقط بسيطة تم تنفيذها في خطوط تلف حول الأذرع من أعلى وحول الفخذين في شكل سلسلة، وكذلك في شكل نقاط من خطوط أشبه بالشكل البيضاوي أسفل الصرة والبطن وقد سبقت مصر غيرها من الحضارات في ممارسة مثل هذا النمط الهندسي الخطى من الرموز الوشمية (بتصرف)"[3]. وبجبال جيجل تقوم المرأة بوشم نقطة على الذقن أو الخد بغرض التجميل وقد تضع ثلاث نقاط في شكل مثلث على زندها.

لقد كانت العشائر الطوطمية تقوم بوشم طوطمها على جسد أفرادها لكن أحيانا "يكون الرمز عبارة عن أشكال هندسية أو مجموعة خطوط ليس فيها شيء من صورة الطوطم وإنما يصطلح على اتخاذها رمزا له ويكثر هذا النوع من الرموز في العشائر المتأخرة في ميادين الرسم والتصوير كعشائر السكان الأصليين لأستراليا، وقد تستخدم بعض أجزاء الحيوان أو النبات نفسه كرمز للطوطم والذي يرمز بدوره للعشيرة، تماما كما ترمز في عصرنا صورة الدب إلى روسيا، وصورة الديك إلى فرنسا... ولذلك يذكر الأنثربولوجيون أنهم غالبا ما شاهدوا لدى القبائل البدائية الرمز الطوطمي للعشيرة مثبتا على أجسام أفرادها وملابسهم وأغطية رؤوسهم وأسلحتهم وخيامهم وثوابيت موتاهم وقبورهم وما يمتلكونه من حيوان ومتاع(بتصرف)"[4].

---

[1] ليث الخفاف: "الوشم ووحدة الفلكلور العربي"، مجلة التراث الشعبي، العدد10، السنة11، 1980، العراق، ص.182.

[2] بلقاسم الجطاري: (مرجع سابق)، ص. 71.

[3] زينب عبد التواب رياض خميس: "الوشم في عصور ماقبل التاريخ"، ص.13

[4] بركات محمد مراد: (مرجع سابق)، ص. 68.

إن أشكال الوشم المنتشرة بمنطقة الدراسة الكثير منها يأخذ شكل هندسي يرمز لحيوان أو نبات أو مصنوعات إنسانية، مثل وشم الذبابة، والزيتونة، والبرنوس، أو المرساة ...إلخ. كما تنتشر الأشكال الهندسية والمتشابهة مع ما ذكر عن زينب عبد التواب رياض خميس والمتمثل في "الوحدة المثلثية الشكل التي لا تزال تستعمل في أيامنا هذه في شكل حجاب، وكذلك التعويذة المسماة خمسة وخميسة والتي ماهي إلا بقايا من المعتقدات الشعبية في الماضي السحيق. كما أن وشم النخلة التي هي رمز مصري قديم تدل على الإخصاب والإنتاج والوفرة، والسمكة ترمز إلى وفرة النسل وكثرته، والعصفور الأخضر أتخذه المصريون للخير والخصب والحياة (بتصرف)"[1]. ويمكن أن نشير إلى أن أصل الكثير من أشكال الوشم كالنخلة والقرص والمثلثات ...إلخ يصعب تحديده بدقة فقد تكون أصوله أمازيغية وليس مصرية وهذا موضوع قد يجيب عنه المختصون فيما قبل التاريخ مستقبلا.

وإذا أردنا حصر أشكال الوشم بالمنطقة فهي لا تخرج عن ما ذكره جميل حمداوي عن الوشم الذي يتخذ حسب قوله " عدة أشكال هندسية وعلامات سيميوطيقية ورموز دالة، فهناك: النقطة أو سلسلة من النقط، الخط المستقيم، وما يتفرع عنه من زخارف بسيطة ومركبة ومعقدة، والزخارف الصليبية الشكل، والزخارف النجمية الشكل وزخارف على شكل (V) والأشكال الدائرية، والمنحنيات المتماثلة وغير المتماثلة والخطوط المتوازية، والخطوط الملتوية، والخطوط المائلة والمنحنية والمنحرفة، والخطوط المتشابكة، والخطوط المتداخلة والمتقاطعة، والمثلثات، والمربعات، والمستطيلات، والمعينات، والدوائر وحروف تيفيناغ، وعلامات زائد، والأشكال المنغلقة والمنفتحة، والشارات العسكرية، والزوايا المتعارضة أو القائمة أو المتوازية، والأشكال النباتية والحيوانية والطبيعية، والمشبكات، والأشكال الخماسية، والتيجان (بتصرف)"[2].

يعد الرمز الذي يشبه الصليب من أهم الرموز التي الموشومة عند المرأة بجبال جيجل وفي كل منطقة القبائل، وهو لا يعتبر صليب بل أغلب الظن هو حرف من حروف التيفيناغ والذي يرمز للجمال وما يزيد من ترجيح هذه الفكرة هو أن وشم الصليب عند الأمازيغ كان قبل ظهور المسيحية حيث بينت حفريات في قبيلة بليبيا أن إحدى القبائل الليبية كانوا يشمون على جلودهم صلبانا، منذ تاريخ 1300قبل الميلاد[3].

7. 2. الدلالات الرمزية للوشم الأنثوي التقليدي بمنطقة الدراسة

– دلالات ومعاني الوشم عند نساء جيجل والأمازيغ بصفة عامة

إن الحديث عن دلالات الوشم بنوع من التحديد الاختزالي يعد تضييق للخناق عليه، كون الوشم يعوم على بحر مفتوح من الدلالات والمعاني الرمزية ذات الصلة العميقة بالمجتمع والإنسان وأماله ومعتقداته وآلامه، وهذا ما يشجع على وضع الوشم باعتباره علامة ناطقة بتاريخها الثقافي الاجتماعي التي يتخللها الكثير من الغموض الجالب للهيبة، والذي يفرض مسافة فاصلة بين الموشوم

[1] زينب عبد التواب رياض خميس: "الوشم في عصور ماقبل التاريخ"، ص.70.

[2] جميل حمداوي: الوشم في الثقافة الأمازيغية، دون دار نشر، 2016، ط1، ، ص.13.

[3] Ernest-Gustave Gobert : "remarques sur les tatouages nord africain", revue africaine, 1956, p.508.

ومن ينظر في أمره، لذلك يعد الوشم ظاهرة إنسانية عرفتها عدة شعوب وعلى رأسها الشعب الأمازيغي حيث يذكر حدادو محند عقلي أن هناك عدة دلالات لبعض الوشوم التقليدية الامازيغية نذكر منها مايلي[1]:

اسم الوشم ودلالته	صورة الرمز الموشوم	اسم الوشم ودلالته	صورة الرمز الموشوم
الزيتون " الزمور":القوة الهادئة والمسالمة، ويرمز زيت الزيتون إلى البقاء وطول العمر.		**الكبش:القوة**	
الثور: القوة الظاهرة والخفية		**طائر السنونو: الربيع والأنوثة.**	
العنكبوت: الأنوثة التي تمثل الحياة.	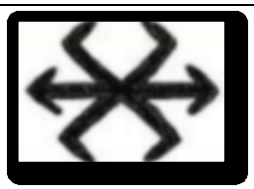	**الذبابة: تعبر عن حركة الإنسان والحيوان.**	
وشم الجبهة: يعبر عن الوضوح والشخصية والأنوثة والجمال.		**الحبوب:رمز الحياة.**	
الشمس: الكون – الحياة – مصدر الحرارة والضوء.		**القمر:المرأة**	
الهلال: التعبير – العودة – الموت والولادة.		**السحلية (تازرميث): حارس المنزل من الأرواح الشريرة**	
النحلة: ترمز إلى السعادة والنعومة والشفاء.	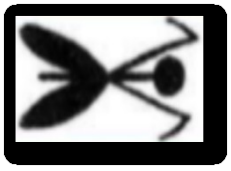	**الرجل الأمازيغي: الحرية – القوة.**	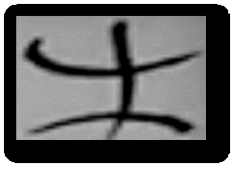

[1] HADDADOU, Mohand Akli : Guide pratique de la langue et de la culture Berbère, édition, BNFA (Bibliothèque numérique Francophone accessible).

السيالة: وهو عبارة عن شكل يوشم تحت الشفة السفلية إلى نهاية الذقن، ودلالته هي عذوبة الريق لدى المرأة وكذا الرائحة الزكية.		**القمح"إرذن": الحياة "عند تفتح الأزهار "– الموت حين تكون البذرة تحت التراب.**	
الشجرة: محور العالم الذي تحوم حوله الكائنات والأرواح		**السرطان: يرمز إلى الموت والشر وكذلك الشجاعة والاقدام ويحمي من عين الحاسد.**	

إن هذه الأشكال المختلفة للوشم التي ذكرها الباحث "حدادو محند" يوجد ما يشابهها لدى نساء المنطقة المدروسة بجيجل، لكن يصعب تحديد كل معانيها ودلالتها ومع ذلك فإن المتفحص لأشكال وأسماء هذه الوشوم يتضح له أنها مستمدة من الطبيعة وتسمى بأسماء أشياء في الطبيعة، إلا أن ومشمها يأخذ أشكال هندسية وليس تصويرية فلا يتم رسم الصورة الحقيقية بل يتم وضع رمز لها، ويمكن تصنيف هذه الوشوم في ثلاثة أصناف أولها التي يتم اختيارها انطلاقا من أهميتها في الحياة، ومن بين الوشوم التي تنتمي لهذا الصنف وشم شجرة الزيتون، هذه الأخيرة لها دور كبير في توفير الغداء وبناء المنازل وصناعة المحراث وأوراقها كلأ للأغنام وحتى توفير الحطب للتدفئة لسكان الجبال بجيجل خاصة في فصل الشتاء، فغالبا ما كان خبز الشعير أو القمح مع زيت الزيتون بمثابة غداء أساسي لسكان القبائل الصغرى والكبرى منذ زمن بعيد، لذلك يتميز خبز القمح بمنطقة الدراسة بنوع من القدسية فهو يسمى حشيشة الروح، وإذا وجده شخص مرمي في الأرض يسارع بتقبيله ورفعه لملامسة جبهته ثم يضعه في مكان نظيف حتى لا يدنس أو يداس بالأقدام، ولعل هذا الذي يجعل المرأة توشم على جسدها سنبولة القمح فوق مثلثات شبيهة أيضا بالجبال فتحضر الطبيعة بأشجارها وجبالها في الوشم. حيث تعتقد المرأة بجيجل أن وشم السنبلة يجلب الفأل والخير والخصوبة لذلك تستعمل القمح غالبا في طقوس الزواج والخصوبة، أما وشم الثور والذي يرمز للقوة فيبدو أن دور الثور قد أهله ليصبح له وشم لأنه هو الذي يتم استعماله في الحرث لزراعة القمح إلا أن وشم الثور قد يكون بسبب أنه كان يعبد عند الأمازيغ، يضاف إلى هذه الأشكال وشم الشجرة والذي يرمز لمحور العالم وللشجرة أهمية كبيرة لسكان الجبال ذكرناها لذلك يتم رسمها على جسد المرأة.

أما الصنف الثاني من الوشوم فتختاره المرأة لصفاته المميزة والتي تطمح لان تتصف بها هي أيضا ومن هذه الوشوم رمز النحلة الذي يعبر عن النشاط والنعومة وهي صفات تتمنى المرأة بجبال جيجل الاتصاف بها كما ترغب في أن تصنع بيدها أطعمة مثل عسل النحل في لذتها وحلاوتها، أما الذبابة فهي تتميز بالحركة والنشاط لذلك ترغب المرأة في الاتصاف بصفاتها والمرأة المحبة في المجتمع هي المرأة التي تتميز بنشاط كبير في انجاز أعمال البيت والأعمال الزراعية القريبة من المنزل، أما العنكبوت فهي تنسج بيتها

بدقة وتتميز بالصبر وهذا ما جعل المرأة الأمازيغية ترسمها وشما على جسمها بغية التشبه بها في القيام بنسج زرابي بصبر وإتقان كالعنكبوت. تضاف إليها وشوم الشمس والقمر والهلال وطائر السنونو التي ترمز وتتميز بالجمال والتي تسعى أن تتشبه المرأة الأمازيغية بجمالها.

أما الصنف الثالث فهو يمثل الوشوم المتعلقة بالمعتقدات، ويدخل في إطاره رمز السحلية والسيالة ورمز علامة زائد (+) ورمز الدائرة والمثلث

وهي رموز مستمدة من معتقدات قديمة ترى أن السحلية تحرس المنزل من الأرواح الشريرة مما يجعلها مؤهلة لحراسة المرأة فتشمها على جسدها، وكذلك وشم السيالة يعتقد أنه يطيب الفم ويجعل للريق عذوبة، ويلاحظ أن المرأة بجيجل تستعمل أشكال معينة لاعتقادها أنها تبعد الشرور وتجلب الفأل الحسن والعلاج لبعض الأمراض، ويلاحظ في رموز الوشم الامازيغي ونفس الحال بجيجل انتشار أشكال مثلثية مثل وشم الزيتون، الثور، الحبوب، الكبش وهذه المثلثات لعلها مستمدة من أشكال الجبال أو قد تكون لها علاقة مع رمز الإلهة الأمازيغية تانيت، أما الشمس والقمر والهلال فإن كانت ترمز للجمال الذي تصبو إليه المرأة الأمازيغية إلا أن هذه الأشكال قد تكون مستمدة من ديانات الأمازيغ القديمة المرتبطة بعبادة الإله أمون.

وتنتشر بمنطقة الدراسة الرقم خمسة حيث نجد خمسة خطوط متوازية تكون مرة أفقية ومرة عمودية وتستعمل في علاجات سحرية وفي طلب الخصوبة والولد.

- **دلالات الوشم وعلاقتها بالهوية الأنثوية للمرأة الجيجلية**

تؤكد فاطمة فائز أن "الوشم يدخل ضمن آداب السلوك الاجتماعي، يرتبط بالجسد الموشوم وبحياته، وبموت بموته، كما يشكل جسرًا للربط بين ما هو روحي ومادي في الجسد ذاته"[1]. وللوشم رمزية اجتماعية قوية، فهو قد يعبر عن الانتماء الاجتماعي وركيزة الإحساس بالانتماء الموحد، لذلك نجد أن المرأة بجيملة تضع وشوم بدوافع اجتماعية ومن ترفض الوشم يتم وسمها اجتماعيا على أنها مؤدية بعينها أي أنها تصيب غيرها بأذى العين، وغالبا ما ترتبط عادة وشم الجسد أساساً بالانتماء للقبيلة أو التبعية لمبدأ معين، والوشم أيضاً سحر وتصوف وهوية يميل إلى السيطرة على موضوع ما أو اكتساب صفات وقوى ما يرغب في التشبه بها لذلك توشم المرأة بجيملة النحلة والذبابة أو يستعمل الوشم للحماية فيصبح تعويذة، ومهما كان الوشم بسيط أو معقدا فهو يحمل الكثير من الدلالات العقائدية والفلسفية والاجتماعية وبالتالي فالوشم ليس رسماً فقط وإنما له مدلولات ثقافية تختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر ومن مكان إلى مكان حسب ما يؤديه من وظيفة. و" تمتد الإحالة الرمزية للوشم كمحدد وقائي لتغطي مجالات أخرى داخل الحدود الثقافية للمجتمع القبائلي الذي يتشابه معه المجتمع الجيجلي في الكثير من العادات وعلى رأسها الوشم، فيتم استخدامه للحماية من بعض الأمراض كالخلع La Foulure وذلك بوشم علامة على المعصم Poignet أو التخفيف من بعض آلام العيون Maux d'yeux ... (بتصرف)"[2]

[1] عبد الحكيم خليل سيد أحمد: (مرجع سابق)، ص.10.

[2] René Virgier : La femme kabyle et le tatouage, Paris : édition dunod, 1984 , P 307.

يعتبر " الوشم نموذجا رمزيا ضمنيا يحيل إلى مرجعية اجتماعية ثقافية تتجاوز حدود الجماليات الفنية وقوالب التنميط السلوكي المستجيب لحاجات بعينها إلى إرسالية تساهم في نقل استعمالات الجسد الإستعارية من أجل خلق حوار مع الآخر"[1]، لذلك نجد المرأة الجيجلية تستخدم علامات الوشم لمخاطبة الرجل وإثارة إعجابه بها حيث ذكرت عدة مبحوثات "درت الوشم للبها" أي وضعت الوشم لكي أصبح جميلة ، حيث يقول بلقاسم الجطاري" أن الوشم نوع من الماكياج يستعمل عموما عند النساء من أجل التجميل، وإثارة الإعجاب، فيستحيل الجسد كصفحة للقراءة، أو كنص يصبح الوشم فيه كخطاب"[2].

قالت لي الحاجة دلولة عمرها 75سنة وهي تضحك لقد "درت الوشم باه باهية ويعباو بيا ارجال" أي وضعت الوشم لكي أصبح جميلة واجلب رضى الرجال. إن الجسد على حد تعبير ميرلو بونتي هو "موطن ظهور للتعبير كما أن كل استعمال للجسد هو تعبير أصلي وأولي، هذا التعبير هو الذي يجعل الذات تخرج من ذاتها وتتصل بالذوات الأخرى عن طريق العلامات والرموز"[3]، هذه الرموز تدق وشما عند المرأة بجبال جيجل بجيملة، والتي لها علاقة مميزة مع الوشم لأنها استخدمته للتعبير عن رغباتها بنوع من التمويه فرضه عليها المجتمع ألذكوري، فأصبحت تكتب على جسدها وبجسدها كما يقول محمد نور الدين أفاية رابطا بين الهوية النسوية والكتابة بالجسد، فالمرأة غالبا تنقاد مرغمة للسائد الاجتماعي والأعراف المجتمعية التي لا تتماشى مع رغباتها وطموحاتها مما جعل ذاتها "تتأرجح ... بين الإحساس المؤلم بتبعيتها لما هو سائد والاعتراف به كواقع وبين الإنصات إلى رغبات الجسد السالبة"[4]. وفي هذا الوضع الاجتماعي للمرأة نجدها قد لجأت للوشم وجعلت منه بمثابة فن تقوم من خلاله بأداء عمليات تجميلية لجسدها، لتخلق جسد ثقافي له أسراره وجاذبيته أكثر من الجسد الطبيعي ولم تكتفي بذلك بل حملت الوشم دلالات ومعاني متعددة جعله أكثر من مجرد رسم وإنما لغة مرمزة مشحونة بقيم رمزية كبيرة نحتاج إلى قراءات دقيقة لفهمها والتعمق فيها.

إن المرأة بجبال جيجل تشم في مراحل معينة من العمر المتمثل في النضج وقرب سن الزواج لتبين قدرتها على تحمل ألم إبرة الوشم كدلالة على قدرتها على تحمل الصعوبات والمهام المنزلية عند الزواج كما أنها بوضعها تلك العلامات على جسدها تبعث برسائل بشكل رمزي للشباب تبين أن جسدها جذاب ومغري وهو مصدر للسعادة والرغبة فالوشم يزيدها زينة وإغراءا.

فالمرأة بجبال جيجل تحمل جسدها وتكتب في نفس الوقت بجسدها وتضعه نصا لكتابتها بالوشم، فهي " تصوغ كتابتها بشكل مختلف تماما عن أشكال كتابة الرجل. سواء أتعلق بالكتابة المخطوطة أو أشكال الكتابات التي لا تتوقف المرأة عن ممارستها في علاقتها بجسدها"[5]، وهي إن كانت غالبا أمية لا تكتب على الورق فإنها "تتألق في الكتابة على جسدها على اعتبار أن التمويه، ومختلف أشكال إبراز ذاتها، بمثابة نقش على الجسد"[6]، إن المرأة حسب أفاية تؤكد أنها تستعمل التمويه فقط لنفسها فهي تنقش على جسدها، تضع لوجهها قناعا وتلبسه رسوما تجمله وهي بذلك تنشر دفء الحياة في جسمها الميت وتبرز للآخر عبر النقش

[1] Edward Sapir : Anthropologie, ed minuit ،Paris, 1967. P46

[2] بلقاسم الجطاري: (مرجع سابق)، ص. 73.

[3] حسين عباسي: (مرجع سابق)، ص.83.

[4] محمد نور الدين أفاية: الهوية والأختلاف في المرأة والكتابة والهامش، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1988، ص.19.

[5] المرجع نفسه، ص. 41.

[6] المرجع نفسه، ص. 8، 9.

على الوجه والجسد جسمها ممتلئا بالرموز له ديمومة واستمرارية الجمال حتى بعد تقدم العمر لأن" الجسم الموشوم يستمر في التجلي خلال الموت كأن الوشم قد سرق شاهد القبر"[1] . " إن للوشم وظيفة جمالية يراد بها" التزيين"، وهو تخط وسبق للجمال القائم في الطبيعة وابتداع لصور أخرى منه ، وقد بدأ الإنسان يمارس التزيين على ذاته المادية، التي لم يكن يملك سواها فعكف عليها فصداً ووشماً وكيا، فنقش بدنه بأشكال هندسية ورمزية مختلفة، حتى إذا بدأ ينفصل عن ذاته ويضيف إليها عناصر خارجية بدأ يتجه إلى تزيينها هي كذلك، فاحتفى بملابسه وحليه"[2].

قد كان الوشم ينتمي إلى المقدس وهو كالكتابة عند المرأة تجعله قناعا لتمارس منظومتها الإغرائية فهو لباس داخلي تخيطه الأنثى الواشمة لتخالف به اللباس المفروض اجتماعيا والذي غالبا يفرض عليها إخفاء جمالها، هذا الجمال الذي يشكل هوية المرأة يجد شكله النهائي في الإغراء، فالمرأة التي لا تستطيع أن تغري تعيش وجودها خارج ذاتها وبشكل عدمي، فهي " بأساليب التمويه التي تلصقها بجسدها تكتب مباشرة على جسدها، تعطي عناية خاصة لفتحات جسدها، عينيها وفمها. إنها ترسم ورسمها تكثيف لرغبتها. والرجل تتولد لديه حساسية خاصة نحو هذه الرموز"[3]. و يرتبط الوشم عند نساء الجزائر اليوم بمناسبات محددة مثل الزواج لو أنه أصبح يقام بالحناء والصبغة الملونة و"الوشم فوق جسد المرأة هو دليل على الاكتمال والنضج الجنسي لديها وعلامة العافية والخصوبة، فلا توشم إلا الفتاة المؤهلة للزواج كما يقال أنه دلالة على اكتمالها جمالا، وقدرتها على تحمل أعباء الحياة الزوجية كما تحملت آلام الوخز. غير أن هناك من يخالف هذا القول ويظن أن الوشم بكل ما يعنيه من وخز وألم كان يستعمل لكبح جماح الغريزة وتدبير الطاقة الجنسية لدى الفتاة. ويستندون في تبرير ظنهم هذا بوجود الوشم لدى بعض النساء في أماكن حساسة ومستورة من جسدهن كالثديين والفخذين وهو ما قد يكون علاجا زجريا لهن في حالات الفوران الجنسي"[4].

مازال نساء منطقة الدراسة مثلهن مثل الفتيات والنساء العربيات "يطبعن أياديهن وأقدامهن ومناطق أخرى في الجسم برسوم الوشم، وخاصة بالحناء، فالوشم بالحناء بمثابة حلى للفقيرات، ورموزه تحمل الكثير من الدلالات الاجتماعية والدينية، وما زالت ظاهرة الوشم بالحناء متداولة في أغلب البلاد العربية في طقوس الزواج، حيث توشم العروس وقريباتها وصديقاتها ليلة العرس، وتحاول من تضع الوشم إتقان الرسم على الكفين والبطن وأسفل القدم، وبعض أجزاء الوجه لتغدو العروس أكثر تزويقاً وجمالا"[5]. ولا يمكن يمكن تجاهل دور الوشم كمحاولة لتثبيت ما هو عابر زائل ومحاولة لتخليد حالة ما كحالة الحب فالذي يرسم قلبا يخترقه سهم يحرص على تخليد شيء يشعر في أعماقه أنه زائل فكأنما هو محاولة للتثبيت ولجعل المتغير ثابت والمتحول دائما. فالوشم "ظاهرة تخاطبية متعددة الدلالة لأن حركة التقليد والمحاكاة انطلقت من تأويلات مختلفة للوشم فكل واشم قرأه بطريقة مخصوصة وانطلق من إدراك معين لدلالة الوشم انطلاقا من ثقافته الشعبية ومخياله الجمعي ومراعاة للنزعة الجماعية المعاصرة على نحو ما. فالوشم واحد

[1] عبد الكبير الخطيبي: الاسم العربي الجريح، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص.57.
[2] عبد الحكيم خليل سيد أحمد: (مرجع سابق)، ص.21
[3] محمد نور الدين أفاية: (مرجع سابق)، ص. 41، 42.
[4] عبد الحكيم خليل سيد أحمد: (مرجع سابق)، ص.21.
[5] المرجع نفسه، ص. 22، 23.

والتأويلات لا تحصى كأنه كتابة تتولد معانيها بتعدد قراءاتها وليس بالضرورة أن تلتقي تلك التأويلات مع قصد صاحب الوشم تماما. كما أنه من الحتمي أن لا تلتقي قراءة نص إبداعي ما مع مقاصد صاحبه. ومن هذه الناحية يمكن اعتبار الوشم ظاهرة من مظاهر الكتابة، لكنها ظاهرة مخصوصة تمتد على جسد حي. (بتصرف)"[1].

نتائج الدراسة

1. يعد الوشم من العادات والتقاليد التي هي إرث مشترك تحرص غالبية النساء على المحافظة عليه، وهذا لما تتميز به هذه العادات والتقاليد من قوة إلزام اجتماعي، حيث تنتشر في المجتمع تصورات تفرض على المرأة القيام بالوشم، مثل الاعتقاد أن المرأة التي لا توشم تتملكها روح شريرة تجعلها مؤدية لغيرها، ونشير إلا أن للمرأة حرية اختيار مكان وضع الوشم على جسدها وشكله في الوشم التجميلي حيث يكون لهذا الوشم دلالات ومعاني شخصية أما الوشم العلاجي والوقائي فهو يوضع لأجل العلاج ولا تختار فيه المرأة لا شكل الوشم ولا مكان وضعه.

2. للوشم عدة أغراض تجميلية وعلاجية وقائية وهوياتية، حيث تستخدم المرأة الوشم التجميلي لإضفاء جمال على مظهرها كما أنها تعتقد أنه يجعلها تمتلك صفات جمالية وإغرائية مميزة، وتعتبر أشكال الوشم المستخدمة في العلاج من الأمراض العضوية أو الروحية على ارتباط بتصورات ومعتقدات دينية قديمة لذلك يوشم فيها شكل المثلث أو حرف زائد أو الدائرة والتي لها علاقة بالالهة تانيت.

3. تكتب المرأة الجيجلية على جسدها رموز شبيهة بالرموز التي تضعها في النسيج وفي تزيين الفخار للتعبير عن التزامها بعادات المجتمع وقدرتها على تحمل ألم الوشم.

4. توشم المرأة في مرحلة البلوغ دلالة وتعبيرا على أنها مستعدة للزواج.

5. تختار المرأة بجيجل أشكال الوشم من الطبيعة نظرا لأهمية تلك الأشياء في حياة المجتمع مثل السنبلة والزيتون والثور والشجرة والنخلة، وشم أشكال لحيوانات لها مميزات وصفات تأمل المرأة في امتلاكها كالنحلة والذبابة كما ترسم أشكال على علاقة بالمعتقدات الدينية الوثنية مثل القرص والمثلث وحرف زائد .

6. توجد بعض المميزات والخصائص للوشم تحدد الانتماء للعرش فمثلا بني عافر لا يضعون وشوم لونها أسود.

7. إن المرأة الجيجلية قد تلجأ للكتابة على جسدها بالوشم لتخلد ذكرى جميلة أو قصة غرام سرية يصعب البوح بها فيكون الوشم في مكان مخفي من جسدها لتجعل ألم الوشم عزاء وبلسم يخفف من آلام هجران حبيبها وكأنها تنتصر لحبها وتجعله دائم رمزيا في وشم يعبر عن اقتران دائم مع حبيبها..

8. للوشم بعد اجتماعي ثقافي هوياتي لأن الوشم يعد علامة سيميوطيقية رمزية تعبر عن هوية المرأة الأمازيغية عامة والجيجلية خاصة والتي تميزها عن باقي نساء الشعوب الأخرى حيث تستخدم المرأة عدة أشكال ورموز في الوشم تتعدد دلالاتها ورمزيتها وهي وسيلة المرأة للتعبير عن هويتها النسوية ورغباتها المكبوتة. فتكتب بجسدها وعلى جسدها مستعملة أشكال متعددة لها دلالات ومعاني يصعب تحديد معانيها الخفية ورمزيتها بدقة.

[1] نور الهدى باديس: (مرجع سابق)، ص.150.

8. خاتمة

للوشم بعد اجتماعي ثقافي هوياتي لأن الوشم يعد علامة سيميوطيقية رمزية تعبر عن هوية المرأة الأمازيغية عامة والجيجلية خاصة والتي تميزها عن باقي نساء الشعوب الأخرى حيث تستخدم المرأة عدة أشكال ورموز في الوشم تتعدد دلالاتها ورمزيتها وهي وسيلة المرأة للتعبير عن هويتها النسوية ورغباتها المكبوتة. فتكتب بجسدها وعلى جسدها مستعملة أشكال متعددة لها دلالات ومعاني يصعب تحديد معانيها الخفية ورمزيتها بدقة، وهذا ما يجعل موضوع الوشم يحتاج لدراسات أكثر عمقا لفهم معنى تلك الرموز ودلالاتها الثقافية.

9. الملاحق

9. 1. صور من الميدان

دلالة الوشم والغرض منه	الصورة	دلالة الوشم والغرض منه	الصورة
يوجد على الخذ رمز زائد (+) وهو بغرض الجمال	الصورة الأولى	يوجد على الخذ رمز زائد (+) وهو بغرض الجمال	الصورة
الرمز يشبه شجرة بها اربعة نقاط الغرض منه علاج السلعَة goitre	الصورة03	الرمز عبارة عن دائرة تحيط برمز زائد بغرض علاج معصم اليد	الصورة 04
الرمز عبارة عن رمز زائد بغرض علاج التهاب المفصل	الصورة 05	الرمز عبارة عن خط يقطع في الوسط اربع خطوط في شكل متوازي لعلاج المفاصل	الصورة 06
رمز الشمس وهو للجمال	صورة07	رمز لطلب الخصوبة	صورة 08

رمز البرنوس لطرد الارواح الشريرة التي تتسبب في وفاة الاولاد	صورة 09	رمز للجمال والخصوبة	صورة 10
رمز الرجل الامازيغي بغرض	صورة 11	دائرة ومشط له خمسة أسنان لأجل حماية الأولاد من الموت	صورة 12

9. 2. دليل المقابلة

الوشم التقليدي لدى المرأة بمنطقة جيجل: (أغراض ودلالات ورموز)

التاريخ: .../ .../ ... الساعة من: ..../ .... إلى .../ ...

المحور الأول: البيانات الشخصية للمبحوثات

الاسم، السن، المستوى التعليمي، أصل عائلة الوالد...

المحور الثاني: سياق وطريقة وضع الوشم من طرف المبحوثات.

1 . ماهي المواد وطريقة وضع الوشم وسياقه ؟

1.1. كم كان عمرك عند وضع الوشم؟. 1. 2. من الذي قام بدق الوشم لك؟. 1 .3. ماهي الأدوات المستخدمة في ذلك ومن حضرها؟.1. 4. هل وضعت الوشم برغبتك أم فرض عليك وماهي المناسبة ومن كان معك أثناء الوشم؟

2.صف لي شعورك عند وضع الوشم وبعد وضعه

2. 1 . هل كان الألم شديدا عند دق الوشم؟. 2.2. هل هناك من قدم لك تهنئة عند وضعك للوشم ؟. 2.2. هل هناك من قال لك انه زادك جمالا؟ . 3.3. هل أصابك الندم بعد وضع الوشم ورغبتي في إزالته؟. 3. 4. هل كان اختيار أماكن وأشكال الوشم من طرفك ؟.

المحور الثالث: أغراض الوشم

1. هل هناك أغراض محددة كانت وراء رغبتك في وضع الوشم؟.

1.1. للتجميل أو العلاج أو لجلب الحظ الحسن وطرد الحظ السيأ؟. هل الوشم التجميلي محبوب من طرف الرجال؟. 1. 2.هل وضعتي الوشم من اجل الإنجاب أو بغرض بقاء إخوتك أحياء؟. 1. 3.من نصحك بوضع الوشم للعلاج؟. 1. 4.هل كانت توصف المرأة بصفات سيئة إذا رفضت الوشم؟ ....

المحور الرابع: دلالات الوشم ورموزه

1. هل شكل ومكان الوشم له دلالة عند أفراد المجتمع ماذا تعني لك رموز هذه الوشوم التي وشمتها ؟. 1. 2.هل هناك اختلاف بين شكل الوشم العلاجي والوشم التجميلي؟. 1. 3. هل يفضل الرجال أشكال معينة للوشم؟. 1. 4. هل يمكن أن تختار المرأة الراغبة في الوشم شكل جديد يختلف عن الأشكال المنتشرة لدى نساء المجتمع؟. 1. 5.هل تعرفين أسماء الأشكال الموشومة على جسمك؟. 6.1. ماذا تعني لك ؟. 1. 7. هل تعرفين معنى الرموز الموشومة التي تضعها النساء الأخريات؟.

3.9. جدول المقابلات

رقم المقابلة	الاسم والسن بالسنوات	مكان إجراء المقابلة	التاريخ إجراء المقابلة والساعة
رقم 01	دلولة 75سنة	حديقة بيتها	2018/04/18. من 09:00 إلى العاشرة
02	زرزورية 63سنة	ببيتها	2018/04/19 من الواحدة إلى الثانية والربع
03	الطاوس 65 سنة	بمسكنها	2018/06/12 من التاسعة للعاشرة
04	الحاجة فاطمة 67 سنة	بمقر مسكنها	2018/06/13 من العاشرة للحادية عشر
05	الحاجة الويزة64 سنة	بمقر سكنها	2018/06/13 من الثالثة للرابعة
06	حورية 66 سنة	مقر سكنها	2018/06/14. 08:30 إلى 09:30
07	علجية65 سنة	مقر سكنها	07/ 09/ 2018 . 09:15 الى 10:05
08	عيشة 63 سنة	مقر سكنها	07/ 09/ 2018 01:20 الى 02:10
09	الطاوس رقم2 السن 70 سنة	مقر سكنها	08/ 09/ 2018 10:40 الى 11:25
10	نسيرة 69سنة	مقر سكنها	08/ 09/ 2018 03:15 الى 04:05

قائمة المصادر والمراجع

القواميس بالعربية

1. ابن منظور، 2003، لسان العرب، مادة "وشم"، حرف الميم، بيروت، لبنان.

القواميس بالفرنسية

1.Grand Larousse , 1987, Universel, vol.14, France.

الكتب بالعربية

1.أحمد ذيب شعبو، في نقد الفكر الأسطوري والرمزي (أساطير ورموز وفولكور في الفكر الإنساني)،ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2006.

2. أنتوني غدنز، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، تر: فايز الصباغ، ط4، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، بيروت، 2005.

3. بلقاسنم الجطاري،**الوشم كظاهرة سيميوطيقية في الثقافة الأمازيغية**، (سؤال الثقافة – الأمازيغية: البناء والنظرية)، منشورات كلية الآداب، وجدة، المغرب، 2000.

4. السيد حافظ الأسود،الأنثروبولوجيا الرمزية (دراسة نقدية مقارنة للاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة وتأويلها)، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، 2001.

5. الزهرة إبراهيم، **الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية (وجوه الجسد)**، المائة للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، 2009.

6. عبد الحكيم خليل سيد أحمد،**التجليات الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي بين الخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية**، المؤتمر الرابع للفن والتراث الشعبي الفلسطيني(واقع وتحديات. جامعة النجاح، فلسطين، 6 ،10 أكتوبر2012.

7. عبد الكبير الخطيبي، الاسم العربي الجريح، ط1، دار العودة، بيروت، لبنان، 1980.

8. علي خنوف، **تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا**، ط1، ومنشورات أنيس، الجزائر، 2007.

9. غريب، سيد أحمد، **تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي**، دار المعرفة، مصر، 1993.

10.مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، (د، ت).

11. مازن مرسول محمد، **حفريات في الجسد المقموع (مقاربة سوسيولوجية ثقافية)**، دار الأمان الرباط، المغرب،. 2015.

12. محمد نور الدين أفاية، **الهوية والأختلاف في المرأة والكتابة والهامش**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1988.

13. جميل حمداوي، الوشم في الثقافة الأمازيغية، ط1، دون دار نشر، 2016.

14. صوفية السحيري بن حتيرة، الجسد والمجتمع (دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد)، دار محمد علي للنشر، تونس، 2008.

المقالات بالعربية

1. أيمن اسكندر، عبد المنان شما، "**فن التصوير من جلد الإنسان إلى التصوير الزيتي**"، **مجلة دمشق للعلوم الهندسية**، المجلد الرابع والعشرون، العدد02، 2008.

2. بركات محمد مراد: " **فن الوشم رؤية أنثروبولوجية نفسية**"، **مجلة الثقافة الشعبية**، العدد03، السنة الأولى 2008.

3. حسين عباسي: "**الوشم لدى قبائل إفريقيا الوسطى (الذات والموضوع)**"، **مجلة الثقافة الشعبية**، العدد13، ربيع 2011.

4. زينب عبد التواب رياض خميس"أ": "**الطوطمية بين السحر والدين في عصور ماقبل التاريخ بأفريقيا**"، **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، مجلد 7، عدد 14، 2018.

5. زينب عبد التواب رياض خميس"ب": "**الوشم في عصور ماقبل التاريخ**"، **مجلة البحوث التاريخية**، العدد 03، جانفي 2018.

6. فايزة يخلف: "**التواصل غير اللغوي (الدلالة الثقافية للوشم عند المرأة الأمازيغية)**"،**مجلة الممارسات اللغوية، المجلد 05، العدد 29، 2014**.

7. فؤاد كاظم: "**الوشم دراسة تاريخية في التقاليد الشعبية**"، **مجلة المأثورات الشعبية**، العدد 14، 1989.

8. ليث الخفاف: "**الوشم ووحدة الفلكلور العربي**"، مجلة التراث الشعبي، العدد10، السنة11، 1980.

9. مروة عبد العليم: "**الوشم في افريقيا**"، **مجلة افريقيا قارتنا**، العدد 10، يناير 2014.

10. نور الهدى باديس: "**الوشم الرمز والمعنى**"، **مجلة الثقافة الشعبية**، العدد39،خريف 2017.

المراجع والمصادر بالفرنسية.

Les livres

1. Abderrahmane Khalifa , **signes berbères à travers les tatouages** thèse de magistère, école Supérieur des beaux arts – Alger, **2007**.

2. Copans, Jean , **L'Enquête ethnologique de terrain**, Paris, éd, Nathan, 1996

3. Edward Sapir : **Anthropologie**, ed minuit ،Paris, 1967.

4. George Gobert , **Notes sur les tatouages des berbères**, Paris , édition , dunod ,1984.

5. Guy. Gauthier , **initiation a lasemiologie de l'image** ;ch. Coriet , paris , 1984

6. Jacques servier , **les rites du tatouage berbères**, : édition dunod, Paris, 1980.

7. Mohand ,Akli , HADDADOU , **Guide pratique de la langue et de la culture Berbère**, édition, BNFA (Bibliothèque numérique Francophone accessible).

8. René Virgier , **La femme kabyle et le tatouage**, édition dunod, Paris, 1984 .

Les revues

1. Ernest-Gustave Gobert , "**remarques sur les tatouages nord africain**", revue africaine, 1956.

.

.